

تجربة النقد النسوي في الجزائر -جميلة بكوش أنموذجا-

The Experience of feminist criticism in Algeria

-Djamila Bakkouche as a model-

أحسن بوحناش *

كلية الآداب واللغات جامعة جيجل، الجزائر

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة

ahcene.bouhenache@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/28 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03



ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية اكتشاف عالم النقد النسوي في الجزائر، باعتبار أن هذا النشاط أصبح يمثل حضورا بارزا في الساحة النقدية الجزائرية، حيث لم تعد المرأة تمثل ذلك الكائن الذي لا يسمع صوته، بل أصبحت لها مكانة مميزة تزاخم الرجل فيها، حدث هذا بعد تأثر الناقدة الجزائرية بالحركات النسوية العربية والغربية، التي دافعت عن المرأة وحقوقها، وحاولت أن تنشئ خطابا نسويا منافسا لخطاب الرجل، ومناهضا له في بعض الأحيان، وانطلاقا من كل هذا اخترنا نحن اسم "جميلة بكوش" للاشتغال عليه في مقاربتنا النقدية، محاولين اكتشاف الآليات والموضوعات التي تناولتهم الناقدة أثناء اشتغالها على النصوص الأدبية والنقدية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: النقد النسوي؛ جميلة بكوش؛ النقد الجزائري؛ الجسد؛ المرأة

Abstract:

This research paper seeks to explore the word of feminist criticism in Algeria, considering that this field has become a prominent presence in

* المؤلف المراسل

the Algerian critical scene. Women are no longer perceived as silent beings; instead, they have gained a significant position that rivals that of Arab and Western feminist movements, which advocated for women's rights and sought to establish a feminist discourse that competes with, and sometimes opposes, the male-dominated narrative. Based on this context, we have chosen "Djamila bakkouch" as the subject of our critical study, aiming to uncover the mechanisms and themes she addressed in her analysis of Algerian literary and critical texts.

key words:

Feminist criticism ; Djamila Bakkouch ; Algerian criticism ; Body ; Women.

مقدمة:

يخبرنا التاريخ أن علاقة المرأة بالرجل دائما ما كان يحوز فيها الرجل القيمة الأعلى، والمكانة الأرقى، وقد عوملت المرأة معاملة دونية من شريكها من الجنس الآخر، فالرجل هو المسيطر في العائلة، وهو المتحدث في المجتمع، وهو الواعظ في المسجد والكنيسة، هو الشاعر الفحل، وهو الفيلسوف، والأديب، والمحارب، والمخترع، هو الأمر والمنفذ، أما المرأة فهي المتهورة حسب، وفاقدة حكمة وشجاعة، في الثقافة العربية وتحديدا في الجاهلية كانت المرأة تدفن حية، والشعراء كانوا يتباكون إذا ولدت المرأة فتاة وليس ذكرا، وكانت تباع وتشتري مثلها مثل باقي السلع، ولا يختلف الحال مع الحضارات الغربية التي احتقرت المرأة وعاملتها معاملة الحيوان، فالإغريق اعتبروها خطأ من الطبيعة، ومصدر اللعنات، حتى أنهم كانوا يضعون قماشا في فمها لكي لا تتكلم، ولم يرحمها حتى الفلاسفة، فإرسطو اعتبرها رجل لم يكتمل نموه، و"سقراط" شبهها بالنبات الشائك المسموم، رغم أن هنالك من الحضارات من عاملت المرأة معاملة متساوية مع الرجل، بل إنها وصلت إلى مرحلة التقديس في بعضها، إلا أن المعروف على العموم في مرويّات التاريخ أن الرجل كان يحمل نسقية التعالي والتفوق عليها خاصة عند الغرب، بيد أنه بعد بزوغ عصر الأنوار وظهور مذاهب وتيارات فلسفية وفكرية تدعو إلى تقديس الإنسان بوصفه مركز الوجود، بدأت تظهر أصوات تدافع على حقوق المرأة، وعن حقها في المساواة مع الرجل في كل الميادين

والمجالات، ضمن ما يعرف بالحركة النسوية التي أجمع الكثير على أن إرهاباتها الأولى كانت في بدايات القرن التاسع عشر، قبل أن تتأسس كحركة رسمية في ستينات القرن العشرين في خضم المظاهرات السياسية التي عرفتها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن حقوق المرأة المسلمة، ويعد ميدان الأدب من أبرز الميادين التي استفادت من ذلك الهيجان السياسي، فقد أصبح الصوت الأدبي النسوي أكثر استماعا وقراءة، ومن جهة أخرى كان الأدب أحد الوسائل البارزة المستعملة للدفاع عن المرأة، سواء في الشعر أو النثر، أو حتى في النقد، وفي وسط كل هذه التغييرات كان لا بد من الأدب العربي ونقده أن يتأثر بنظيره الغربي، فظهرت أسماء روائية وشعرية ونقدية نسوية، حملت نفسها مهمة الدفاع عن اسم المرأة وتاريخها، وواقعها، وأحلامها؛ ولأن الساحة الإبداعية الجزائرية جزء من نظيرتها العربية، سارت هذه الأخيرة على نفس النهج، وتفاعلت مع مختلف المطالب النسوية المعاصرة، ويأتي اسم " جميلة بكوش " كأحد الأسماء الجزائرية البارزة والمجتهدة في ميدان النقد الأدبي، وسنحاول في هذه الورقة البحثية، ومن خلال آليات المنهج الوصفي استكشاف تجربتها النقدية، منطلقين من تساؤلات رئيسية متمثلة في: ماذا نقصد بالنقد النسوي؟ وكيف تعاملت الساحة النقدية الجزائرية مع هذا النقد؟ ما هي أبرز الموضوعات التي طرحتها جميلة بكوش في دراساتها؟ وماهي التقنيات والآليات التي اعتمدت عليهم؟ وكيف نصف تجربتها في ميدان النقد النسوي الجزائري؟

المبحث الأول: التأصيل للنقد النسوي

عندما يشتغل الباحث على النقد النسوي يكون مجبرا على التطرق إلى الأدب النسوي؛ لأن الأدب والنقد مكملان لبعضهما البعض، فلا يمكن أن يكون هنالك نقد بدون أدب، كما أن الأدب يحتاج إلى النقد لكي يحافظ على مكانته بين باقي الفنون، ولكي يستمر في النضوج والتطور، والأدب النسوي من المصطلحات التي يجد الباحث نفسه فيها واقعا في لبس الحيرة والتساؤل حول مدلولها الفعلي، فقد تعددت رؤية الأعين

لهذا المصطلح بتعدد النقاد، ومنه يمكن أن يطلق الأدب النسوي على الأعمال التي تكتبها النساء بغض النظر عن مواضيعها، هل هي مواضيع عن النساء أم عن الرجال، كما يطلق على الأعمال التي تكون فيها المرأة هي الموضوع في المتن، سواء كان المؤلف رجلا أو امرأة.

أما النقد النسوي فهو الذي يهتم بتلك الأعمال الأدبية، و« تمارسه النساء للدفاع عن مكانة المرأة وصفا وإبداعا وتحليلا وتقويما وتوجيها. بمعنى أن النقد النسوي هو الذي ينصب على الكتابات الإبداعية بالتعريف والتقديم والشرح، ورصد الإنتاجات النسائية بالنقد والفهم والتفسير والتأويل، وكذلك بالدرس والفحص والتفكيك والتركيب، وغالبا ما يختلط هذا النقد بالكتابة النسائية العامة التي تهدف إلى تبيان وضعية المرأة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية... والتنديد بظلم الذكور الذين يحاولون إقصاءها»¹، إذن هنالك إطلاقين للنقد النسوي، إطلاق خاص، ويقصد به النقد الذي يَمَحُصُ الأعمال الأدبية التي تُتفق على أنها ضمن مجال الأدب النسوي؛ أي إن مجال النقد هنا محصور في الميدان الأدبي، وإطلاق عام يقصد به النقد الذي يركز في أهدافه على الدفاع عن حقوق المرأة في مقابل التنديد بمركزية الذكر، سواء في ميدان الأدب أو في باقي الميادين؛ أي أنه غير محصور في الإبداعات الأدبية، « وينشغل النقد النسوي على مستوى واضح بالمسائل المرتبطة بالجنوسة على سبيل المثال، وبدراسة الطرائق التي تشكلت بها صورة المرأة، وبأمور من مثل عدد النساء مقارنة بالرجال، وصورة المرأة في النصوص المعروضة في وسائل الإعلام الجماهيرية، وفي النصوص الدرامية، وبلاستغلال الجنسي لجسد المرأة...»²

وعند محاولة التأريخ لمفهوم النقد النسوي سنذهب إلى القرن التاسع عشر، الذي شكل إرهابا أوليا له، «مرافقا للحركة الرومانسية، لينتقل بعد ذلك إلى نقد حقوقي إصلاحي وثورى مع العقود الأولى من القرن العشرين، ليتحول إلى نقد نصي تفويضي تفكيكي وثقافي من سنوات الستين من القرن الماضي إلى سنوات الألفية الثالثة متأثرا في

ذلك بفلسفات ومناهج "ما بعد الحداثة"، وقد انصب النقد النسائي بالخصوص على تحليل كتابة المرأة موضوعا وقضية وفنا وجمالا ولغة ورؤية، مع السعي الجاد إلى التمييز بين الكتابة الأنثوية والكتابة الرجولية³، فالقرن التاسع عشر شكل مرحلة هامة مهدت لبروز مبحث النقد النسوي، عبر أسماء نسوية ورجالية اهتمت بكشف وفضح التهميش المسلط على النساء من أمثال "مدام دو ستايل Madame de Stail"، جورج صاند George sand، وسوزان فوالكان Suzanne Boilkuin، وتأتي بدايات القرن العشرين إلى غاية منتصفه، وقد ارتبطت بحصول المرأة على كثير من حقوقها المسلوبة كحقها في التعليم، والمشاركة في الانتخابات والاعتراف بإمكاناتها ومهاراتها الفكرية والمعرفية، ومن الأسماء المؤثرة في هذه الفترة تأتي الفرنسية "سيمون دو بوفوار Simon de Beauvoir" على رأس القائمة، من خلال دفاعها عن المرأة عبر مخرجات الفلسفة الوجودية، ودعت إلى تحريرهن من سلطة الرجل، وهاجمت كل أشكال الذكورة، وأنواع التمييز الجنسي، ومن أبرز كتبها في هذا الميدان نجد كتاب "الجنس الثاني (1949)"، وهو الكتاب الذي ميزت فيه بوضوح بين الجنس Sed و Gendre، أما سنوات الستينات والسبعينات فهي المرحلة التي اكتمل فيها فهم مطالب النقد النسوي، من خلال مجهودات ناقدات أمريكيات خاصة، من أبرزهم: "ماري إلمان" في كتابها "التفكير حول المرأة (1968)"، و"كيت ميليت" في كتابها "السياسات الجنسية (1972)"، و"مووي توريل" وكتابها "النظرية الأدبية النسوية (1985)"، وجوزيفين دونفان في "النقد الأدبي النسوي" (1975)، وغيرها من الأسماء التي شكلت نواة الدراسات النقدية عند الغرب⁴، أما عند العرب فيمكن التأريخ لبدايات الاهتمام بأجندات المرأة حسب إملاءات المرجعيات الغربية إلى العقود الأولى من القرن العشرين مع حركة الإصلاح الاجتماعي التي قادها "قاسم أمين" في كتابيه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" عندما دعا إلى العدل في معاملة المرأة والنظر إليها كما يُنظر إلى الرجل، وتكريمها كما دعت الكتب المقدسة وكما أقرت

كتب الإنسانية، وتصدر الإشارة أن هذه الفترة شكلت تحولا كبيرا في طرق التعامل مع حقوق المرأة، من خلال تلك الجراة التي أصبح يُنظر بها إلى هذه القضية، ومن خلال أقلام حملت على عاتقها مسؤولية فضح استبداد الرجل الشرقي وهيمنته، ومن تلك الأقلام نجد "وردة اليازجي" و"هدى الشعراوي" و"سهير القلماوي" و"عائشة التيمورية" وغيرهم الكثير، لتمتد الحركة النسوية العربية إلى العقود الأخيرة من القرن العشرين وبدايات الألفية الجديدة، مع مجموعة من الناقدات من أمثال "بمى العيد" في مقالها "مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي (1975)، و"اعتدال عثمان" في "التراث المكبوت في أدب المرأة"، و"رشيدة بنمسعود" في كتابها "جماليات السرد النسائي" (2006)، و"زهور كرام" في "السرد النسائي العربي" (2004)⁵، وهذه الأسماء غيرها ساهمت في إيصال صوت المرأة للرجل عبر مجال النقد الأدبي، ولكن يأتي اسم "نوال السعداوي" كأبرز اسم ارتبط بالحركة النقدية النسوية العربية، عبر كتاباتها النسوية المختلفة مثل: (دراسات عن المرأة والرجل في العالم العربي، المرأة والجنس، الأنثى هي الأصل...)، ويمكن القول إن هذا الاسم هو الأكثر تأثيرا في الفكر النقدي للناقدات العربيات النسويات.

وفي الجزائر لم يختلف حال ساحة النقد النسوي عن نظيرتها العربية، ولو أنه تأخر قليلا، ولم يعرف نشاطا مكثفا إلا في الآونة الأخيرة، لأسباب عديدة لا تختلف عن أسباب تأخر ميدان النقد الأدبي بصفة عامة، ولكن بالنسبة لمجال الأدب فقد كان نشيطا منذ منتصف القرن العشرين، عبر أقلام نسوية عبرت عن مخيلاتها، وطموحاتها في أعمال روائية عرفت نجاحا كبيرا داخل وخارج الوطن، ولو أن البداية كانت باللغة الفرنسية من خلال روايات "آسيا جبار" التي مثلت صوت الشعب الجزائري في مواجهة الآخر الفرنسي، وشكلت صوته الذي وقع في معضلة الهوية الوطنية وتناقضاتها، وعبرت عن معاناة المرأة الجزائرية أثناء وجودها تحت غطاء المجتمع الذكوري حسبها، أما بالنسبة للإبداع النسوي عربي الخط فقد تأخر نضوجه إلى غاية 1979، عبر اسم "زهور

ونيسي" وروايتها "من يوميات مدرسة حرة"، بعد أن كان الأدب النسوي يتمثل فقط في محاولات في الشعر، ومجموعة من القصص تكتب في جرائد ومجلات هنا وهناك. وقد عرفت فترة التسعينات فترة انتعاش وازدهار الرواية النسوية التي عبرت عن المرأة ومطالبها، بكتبت "أحلام مستغانمي" روايتها "ذاكرة الجسد" وفوضى الحواس"، وكتبت "فاطمة العقون" "ثلاث نساء" سنة 1997، ونفس الحال استمر في الألفية الجديدة، مع "فضيلة الفاروق" و"نساء الخجل" (2002)، و"ياسمينه صالح" في روايتها "وطن من زجاج" (2006)⁶، لتصبح الكتابة عن المرأة هي موضوعة الجيل الحالي من النساء، سواء في الرواية أو الشعر أو النقد، هذا الأخير ارتبط بالرواية، إذ أنه لم يظهر إلا بظهورها، فكما قلنا سلفا لا يوجد نقد أدبي بدون أدب، ويمكن القول إن النقد النسوي الجزائري وجد السبيل للتألق من بدايات الألفية الجديدة إلى اليوم، فقد وجد البيئة الخصبة لذلك، من كثرة المؤلفات النسوية، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النقد لم يكن حكرا على النساء، فقد مارسته نساء، كما مارسه رجال، وعند الحديث عن النقد النسوي الذي مارسه الرجال فسوف تتجه أنظارنا إلى الناقد "يوسف وغيلسي" في كتابه الذي أثار الجدل (خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري)، حيث قام فيه بدراسة جمالية وموضوعاتية لقصائد بعض الشاعرات، وخص فيه تلك الشاعرات بنقد مس أسلوبهم الركيك حسب، وموضوعاتهم التي لم تسلم من سلطة الذكورة حسب، كما يأتي اسم "حفناوي بعلي" كأحد الأسماء التي اشتغلت على الإبداع النسوي الجزائري خاصة في كتاب "الرواية النسوية الجزائرية تأنيث الكتابة وتأنيث بهاء المتخيل"، وفيه تطرق إلى روايات جزائريات اعتمدوا على قلمهم لتوصيل هموم بني جنسهم، من أمثال "جميلة زنير، وفاطمة العقون، وأحلام مستغانمي، وزهور ونيسي، وآسيا جبار" ... وغيرهم.

أما بالنسبة للنساء فنجد اسم "آمنة بلعلي" كاسم نقدي متميز، صال وجال في مختلف القضايا المتعلقة بالنقد الأدبي الجزائري، فكتبت عن التصوف، وعن الشعر العربي

والجزائري، وكانت متميزة في النقد الثقافي والنظريات ما بعد الحداثية، وفي نقد النقد، ونجد أيضا الناقدة "سليمة مسعودي" كإحدى الأسماء التي اهتمت بالدراسات الثقافية والنقد الثقافي عبر عدة مؤلفات، لعل أبرزها كتاب «جدل السياقات والأنساق - مقارنة نقد ثقافية في السيرة الذاتية والسرد الروائي والعقل الديني، الصادر عن دار ميم سنة 2019، حيث عملت في هذا الكتاب على توسيع مجال قراءة الخطابات الثقافية عبر منظور نقدي مغاير، متوخية تأسيس تقليد جديد في القراءة من خلال هدمها للتصورات التقليدية للنقد الأدبي، وبناء رؤية جديدة بلورها ما يعرف بالنقد الثقافي، والذي تميز عن باقي مناهج النقد الأدبي يمتلك قدرة فائقة على التوغل في الخطابات الثقافية والأدبية»⁷. ولا بأس أن نشير إلى أن الكتابة النقدية النسوية الجزائرية في الوقت الراهن ذات توجه أكاديمي جامعي، لذلك نجد تحمة في البحوث والمقالات وأطروحات الدكتوراه، سواء من أساتذة أو من طلبة الدكتوراه الذي يشتغلون على مواضيع نقدية نسوية.

المبحث الثاني: تجربة النقد النسوي عند جميلة بكوش:

تعد "جميلة بكوش" من الأسماء البارزة في ساحة النقد الجزائري المعاصر، وهي أستاذة في المدرسة العليا للأستاذة بمستغانم، قدمت دراسات عدة خدمة لمجال النقد الأدبي وخدمة للنقد والأدب الجزائري، كما أنها ساهمت، ونظمت ملتقيات مختلفة في هذا المجال، مزجت الناقدة في دراساتها بين الكتب والمقالات، ومن بين دراستها نجد مقال "حركة النقد الثقافي في الجزائر"، ومقال "نشأة النقد الثقافي عند مالك بن نبي"، وأيضا مقال "أثوية المعرفة سرديات النسوية في الجزائر"، أما في الكتب فلديها كتاب "نسق الحوار في القرآن الكريم"، وكتاب "بلاغة الإعجاز وحدود التأويل"، وكتاب "معالم النقد الثقافي في الجزائر"، والملاحظ في هذه العناوين أن أغلبها يشتغل على النقد الثقافي، وهذا المجال هو الذي أدخل الناقدة مجال النسوية باعتبار أنه مثل بآلياته التي تبحث عن

المهمش مشرب مهم للمشتغلين عن المرأة، ونحن سوف نخص في النقاط الموالية الموضوعات التي اشتغلت عليهم الناقد ولها علاقة مباشرة بالمرأة وصراعها مع الآخر، وتحديدًا موضوع الجسد، والمقاومة التي أعلنتها المرأة ضد ظلم الواقع.

المطلب الأول: اشتغالها على الجسد

إن موضوع الجسد هو أكثر ما تم الاشتغال عليه في النقد النسوي، باعتبار أنه يحمل قيمة جوهرية تحدد علاقة الذكر بالأنثى، وقد مثل هذا المبحث مساحة سردية معتبرة في كتابها "معالم النقد الثقافي في الجزائر"، من خلال دراستها لرواية "تشرفت برحيلك" للروائية "فيروز رشام"، عبر النباش عن مواضع هيمنة الرجل على المرأة فيها، والبحث عن مميزات الرؤية السردية عند فيروز رشام التي اتضح لها أنها تركز «على الأنساق الثقافية الجديدة التي انبثقت من الأوضاع الأمنية الجديدة التي عرفت الجزائر في سنوات التسعينات من القرن الماضي والتحويلات التي طرأت على العلاقات الاجتماعية والأسرية في تفاعل الأفراد مع ظروفها وتأثيرها عليهم»⁸، ففي الوقت الذي عرف فيه العالم انفتاحا على قضايا المرأة، وعرف وعيا ثقافيا اتجه الحقوق التي طالبت به، عرفت الجزائر اتجاها معاكسا في ذلك في فترة التسعينات، فقد أصبحت المرأة مقيدة أكثر، وأصبح مسلوب الحرية من طرف الآخر الرجل، فبسبب التطرف الذي عرفته البلاد في تلك الفترة، لم تعد المرأة تتحكم في اللباس الذي تلبسه، ولا في الرأي الذي تدلو به، وهذا الذي تفتنت له الناقدة في الرواية المدروسة، من جهة أخرى تحاول الناقدة من خلال الرواية إعطاء التفسير الثقافي المنطقي لتسلط الرجل على المرأة، وسبب هيمنته على جسدها، حيث ترجع هذه الهيمنة إلى ما يسمى بحب التملك، فهذه النسقية التي تميز الرجل أكثر من المرأة «فالفحل الشبقي تواق إلى موضوع الرغبة في حب التملك لأنه يمثل له امتلاء الهوى النفسي، والشغف بالرغبة في التشهي الجسدي، وإذا كانت الخطيئة في فعل التشهي بدأت منذ حواء وآدم فإن الفحولة تعتبر ذلك جزءا من الميل الذي يولد علاقة الإغراء

التي تؤدي إلى الخطيئة، وعدم الاكتراث بما ينجم عن ذلك من ممارسة سلطته على الجسد قبل الوعي؛ لأنه يمثل موضوع شهوته، ومن هنا تتناسل أنساق دينامية خارجية وداخلية»⁹، فحب التملك موجود في اللاوعي الفردي والجمعي للرجل، يجعله هذا دائما في موضع الدفاع عن هذا الجسد، فيقع في نوع من التعالي عليه، وتصبح المرأة هنا قريبة إلى صفة العبودية أمامه.

ومن هنا تصبح علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة بين فحولة ذكورية وخضوع أنثوي يلي طلبها، وليست علاقة متبادلة بين شخصين بعيدا عن السياق الطبيعي الذي تقوم عليه العلاقة الطبيعية، وبعيدا عن التأثير الروحي إلا بدوافع الفحولة التي تتكون من خلال حب امتلاك المرغوب، وبالقدر الذي تطبق عليه سلطة القمع المبرر بمركزية الرجل بوصفه قوة له مكانته المبعجلة في المجتمع، سواء كان شريكا في الحياة الزوجية، أو شريكا في الدم، ضف إلى ذلك طبيعة المرأة التي تروم عن كتمان وحياء وخضوع متعلق بشخصيتها، يجعلها هذا لا تستطيع إبداء رد فعل عن تعنيف الرجل¹⁰، كل هذه العوامل ساهمت في اتساق نسق الفوقية التي ينظر بها الرجل إلى المرأة حسب الناقدة، وهذا ما لاحظته في أحداث روايتها المدروسة، التي مثلت لها عبر مقاطع عدة، وتقول فيها: «كما نلاحظ في مثل هذه التصريحات تفرض سلطة الواقع هذا الوضع على فاطمة، لم يعد يتحملها جسدها ولا عقلها، وهو حال النساء في الجزائر كلها كما نقله السرد: "تمتنع أغلبية النساء، أو يمنعن عن تقديم شكاوى رسمية وإجراء فحص عند طبيب شرعي"، قد يصل بها التكتم على الضرب والاغتصاب والإهانة إلى حد الجنون الذي يراه البعض»¹¹، فهذه التصريحات والشهادات تسترجعها الناقدة لكي تبرهن على موقفها النقدي حول هيمنة الذكورة، فالنساء يمنعن عن تقديم الشكاوى أو المرور على طبيب شرعي عندما يتعرضن للعنف، وهذا السلوك مستحدث في المجتمع الجزائري، تأثر بخطاب الكراهية الذي عرفه هذا المجتمع في تلك المرحلة، وبالتعصب والقبح والانغلاق الذي ميزه، فكانت المرأة هي

ضحيتها الأولى، كما كانت ضحية التدين المزيف حسب الناقدة، فقد صورت الرواية التي درستها بعض الشخصيات الذكورية وهي تبسط هيمنتها على نساء العائلة بذرائع دينية رغم أن تلك الشخصيات لم توجه رأسها للقبلة قط، من جهة أخرى أشارت الناقدة عبر الرواية أن الزواج يمكن أن يكون عذاب ثانٍ للمرأة بعد العذاب الأول، « فالواقع المرير الذي عاشته فاطمة في بيت أبيها بسبب الهيمنة البطريركية، لن يتغير في بيت زوجها بل يزداد شراسة وإمعانا في الأذى والضرر، لأن التسلط على المرأة ووجودها، وكيانها وذاتها لا يستوعب بأن العلاقة بين الرجل والمرأة لها ألف شكل وشكل للوجود»¹²، ومن هنا بينت "جميلة بكوش" كيف يمكن للجسد أن يكون عدو المرأة، فهو الذي جعلها مشتتة من الآخر، وبالتالي نظرته إليها لا تتجاوز مجال المتعة الحسية حسبها، كما أن هذا الجسد بطبيعته الضعيفة والخجولة والخاضعة جعل منها تتقبل الهيمنة رغما عنها، رغم محاولاتها العديدة للخروج من نسقيته.

المطلب الثاني: رصدتها للمقاومة في الشعر النسوي:

اعتمدت "جميلة بكوش" في عنصر المقاومة الثقافية التي أقامتتها المرأة في القصائد الشعرية على بعض الآراء النقدية التي تمثلتها بعض الأصوات النقدية النسوية، من أمثال "آمنة بلعلي" خاصة في كتابها "خطاب الأنساق"، وبالتالي اشغلت الناقدة هنا ضمن ما يعرف بنقد النقد، حيث تكتشف الناقدة أن "آمنة بلعلي" « لا تنطلق من في دراستها لهذا الشعر من مفهوم الجندر، ولا من أجل ترسيخ فكرة الاختلاف الجنسي وليس من باب تكريس الانفصال بين تصور ذكوري وآخر أنثوي، وإنما بالقدر الذي يكسب الجندر فاعليته بالانخراط مع الآخر الذكوري، والتلاحم مع المصير المشترك بينهما مؤكدة أنه ليس في عبارة التصور الأنثوي ما يشير إلى انتصار لقضية المرأة ولا اندماج في الحركة النسوية التي تناضل من أجل المساواة مع الرجل»¹³، فهدف "آمنة بلعلي" ليس التفكيك، وإنما هدفها هو تبين تناقضات علاقة المرأة مع الرجل، من أجل مساعدتها

على الاندماج مع الرجل، والحال نفسها مع باقي الناقداً، فصحيح أن الفكر النسوي الغربي الذي يدعو إلى فصل الأنثى عن الرجل أثر على طرق تعامل الناقداً مع الخطاب الأدبي الجزائري، بيد أن هدفهم في النهاية ليس إحداث قطيعة مع الرجل، وإنما إيجاد حلول حقيقية تقلل من المشاكل التي تعانيها علاقتهما، وفي جهة مقابلة تسترجع الناقدة رؤية "آمنة بلعلی" لواقع الشعر النسوي الجزائري في سنوات الجمر، والتي كانت نظرة إيجابية فالتجربة الصعبة التي مرت بها الجزائر عادت بفوائد على الشعر النسوي، الذي اتخذ شكلاً آخر من أشكال المقاومة، إنها المقاومة الإبداعية التي واجهت القصور الفني، وطورت منه، بهدف الوصول إلى الشعر الحقيقي، إذن فالعشرية السوداء ساهمت في الارتقاء بالشعر النسوي إلى مكانة محترمة ومفاجئة، وقد قارنت الناقدة بين حال الشعر النسوي قبل وبعد الألفية الثالثة، مستنتجة وجود تحول في طريقة تعامل المرأة الشاعرة مع الحدث الخارجي، الذي ارتبط في السبعينات والثمانينات بالتحولات الآنية التي فرضت عليها، فكتبت الواقع كما هو دون عواطف وأحاسيس ومشاعر نفسية، أما ما كتبه الشاعرات منذ مطلع الألفية الثالثة، فقد تميز بالدخول إلى عوالم النفس، من خلال عدة مسارات في تجاذب شعرهن وإبداعهن، إذ يتقاسمها: الواقع/ الفضاء المتخيل/ الذات/ المكان، حيث يلاحظ في بعض النماذج سيطرت تفاصيل الواقع، أما في آخر فيلاحظ سيطرة الفضاءات المتخيلة¹⁴، إذن انتقلت الشاعرات الجزائريات من تصوير الواقع كما هو بأسلوب تقريرية دون إبداعات تخيلية، إلى المزج بين الواقع والتخيل الشعري، حدث هذا مع نهايات الألفية الثانية إلى بدايات الألفية الثالثة إلى الآن، وقد حدث هذا التطور الفني من أجل إثبات الوجود، ورفض الإقصاء الذي مورس عليها من طرف الآخر.

المطلب الثالث: قراءتها في تجربة النقد الثقافي عند مالك بن نبي

حجز النقد الثقافي لنفسه مكاناً مهماً في ساحة النقد العربي والجزائري المعاصر، ويمكن اعتباره موضة العصر، فقد كثرت الأقلام النقدية التي اشتغلت عليه، تنظيراً وتطبيقاً،

ويرجع هذا إلى طبيعة المواضيع التي يشتغل عليها، وأيضا إلى الآليات التي يعتمدها أثناء بحثه عن مراده، فتللك الآليات والمواضيع أحدثت ثورة نقدية في تحليل وقراءة النصوص الأدبية، تهتم بالمضمّر والمنسي بعدما سيطر الاهتمام بالجمالي والأدبي لعقود عديدة، والنقد الثقافي هو «نقد يستوعب متغيرات ما بعد البنيوية يرفضها للعقلانية التنويرية وعدم أكثراتها بالتوجهات الأساسية (أي لا تؤمن بوجود أسس مطلقة لأي شيء) أو بالحدود التقليدية بين التخصصات والموضوعات أو ما هو معتمد أو رسمي في الثقافة»¹⁵؛ أي إنه أحد مفرزات ما بعد الحداثة، ويعتمد على إجراءاتها القرائية في التحليل، أما بالنسبة لدخوله إلى الساحة النقدية العربية فقد تأخر إلى العقد الأخير من القرن الماضي، بعد أن ألف الناقد السعودي "عبد الله الغدامي" كتاب (النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، فكان الكتاب رائدا في طرحه، وفي مواضيعه التي ترتبط بشكل مباشر بمواضيع النقد الثقافي الغربي، ولكن القول بأن "الغدامي" هو المؤسس الفعلي لهذا النقد عربيا، حمل الكثير من التشكيك، فهناك ملامح عديد نبغت من مفكرين قبله تشير إلى أسبقيتهم في التأليف الثقافي، ويأتي على رأس تلك الأسماء المفكر الجزائري "مالك بن نبي"، الذي جعل من الثقافة بؤرة أعماله، ومن هنا حاولت الناقدة "جميلة بكوش" أن تؤكد هذا الطرح، وتدافع عنه، حدث هذا في مقال منشور لها في مجلة دراسات معاصر بعنوان (نشأة النقد الثقافي عند مالك بن نبي) وفيه تقدم الباحثة السبب الذي جعلها تعتقد في "مالك بن نبي" أنه سابق لعبد الله الغدامي في اشتغاله الثقافي، وأنه أحد الرواد الأوائل على المستوى العربي، ويرجع هذا السبب حسبها إلى المفكر نفسه الذي يعترف في كتابه مشكلة الثقافة «أن الأفكار التي يعرضها الكتاب لم تسبقها دراسة أخرى من دارس عربي؛ ذلك لأنه تناولها من زاوية جديدة غير تلك التي ينطلق فيها عالم الاجتماع في الغرب أو الشرق الأوروبي وهو يصف واقعا اجتماعيا شاخصا أمام عينيه في نظم بلاده، وفي فعالية السلوك حوله، إضافة إلى أن هذه الدراسة لم تتوخ منهج الدراسات

الغربية»¹⁶، فحجة الناقدة على أسبقية المفكر تقوم على اعترافه بأن كتابه الذي عالج تناقضات الثقافة لم يسبقه فيه أحد، فقد تناول موضوع الثقافة بكل نواحيها ومؤثراتها، ولكن إذا أردنا أن نكون موضوعيين في رؤيتنا إلى مجهودات المفكر الثقافية، فسوف نقول إن الباحثة لم تجانب الصواب على الأقل في نقطتها هذه؛ لأن "مالك بن نبي" هنا يقوم بما يسمى بنقد الثقافة وليس النقد الثقافي، فهذا الأخير يدرس موضوعات ما بعد حداثة كما أسلفنا الذكر، ويدرس الثقافة عبر الفئة المهمشة والمنسية في المجتمع، ويهتم بالسلطة والأساليب التي تعتمد عليها في بسط هيمنتها، كما يهتم بعلاقة الشعوب المستعمرة بالأمبراطوريات التي استعمرتها، ضمن سياق ما بعد الكولونيالية.

وعند الحديث عن علاقة المستعمر بالمستعمر سنجد أن الباحثة تطرقت إلى هذه الثنائية في فكر "مالك بن نبي"، وهنا يمكننا اعتبار تلك الثنائية من مخرجات النقد الثقافي؛ فهذا الأخير اهتم بشكل جلي بعلاقة الأنا بالآخر، خاصة ضمن سياق ما بعد الاستعمارية، ومن هنا تستخرج الناقدة الكيفية التي رسم بها "مالك بن نبي" رؤية الغرب للمختلفين عنهم في اللون والثقافة والدين، فقد أشار إلى أن الغرب يحمل أفكارا مؤدجلة فوقية تمكنت من الوصول إلى الجيل الذي يعيش فيه المفكر؛ أي جيل القرن العشرين، «هذا الجيل الذي فتح عينيه في جوّ استعماري، وتشبع بأفكار ترى أرض الغير ملكه والسعي إلى احتلالها واجب مقدس، مشيرا إلى بعض الأنساق الثقافية الخفية في هذا الجيل. هذه الأنساق التي تجعله يعيش صراعا فكريا، ذلك لأنه منذ نعومة أظافره، وقبل دخوله المدرسة يلقن آيات البطولة على حساب البرابرة من السود أو الصفر في إفريقيا»¹⁷، وبالتالي يخلق لنفسه التبرير الشرعي الذي يسمح له بالاعتداء على أملاك الغير، من الشعوب الأخرى، وفي مقابل هذه النزعة الغربية التي ترى في الاستيلاء على أملاك الآخر أمرا ضروريا، لا يرى "مالك بن نبي" أن الشعوب الأخرى تملك هذه النزعة الإمبريالية، خاصة شعب إفريقيا، «بمعنى أن الشعب الإفريقي ليست لديه أية نوايا

استعمارية أو توسعية»¹⁸، وبالتالي تم تشكيل العالم وفق نوعين من الناس، يحملان أفكارا متناقضة ومختلفة تماما، نوع كان أو لا يزال مستعمرا، ونوع كان ولا يزال مستعمرا ونقصد به الغرب، وأغلب مشكلات العالم سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية تنطلق من هذه الثنائية، ومن هنا وجدت الثقافة الإفريقية نفسها في مواجهة العديد من التحديات التي تقف كحاجز لانطلاقها الفكرية، ويمكن تلخيص تلك التحديات في قضايا ثلاث: أولها هو الارتقاء بالإنسان الإفريقي المتحرر من الاستعمار إلى مستوى الحضارة، ثم الارتقاء بالرجل الغربي من فوقيته وتعالبه إلى مستوى الإنسان العادي، وأخيرا إدخال الشخصية الإفريقية في المسألة الرئيسية للسلام¹⁹

من جهة أخرى، وفي عنصر آخر من دراستها حول تجربة "مالك بن نبي" النقدية، تستخرج "جميلة بكوش" بعض المفاهيم والإشكاليات الرئيسية التي تناولها المفكر باهتمام كبير، وشكلت فيما بعد المرجعية الفكرية لكثير من المفكرين بعده، بداية بإشكالية الأفكار التي رأى أنها أساس سير المجتمع، فهي «سلاح ذو حدين يحتكم إليها تقدم المجتمع أو تخلفه؛ لأنها تحمل في طياتها بذور النهضة والحياة والحركة أو التردى والفوضى والخمود والركود، لذلك فإن مالك بن نبي يرى أن أهمية الأفكار في حياة مجتمع معين تتجلى في صورتين، فهي إما تؤثر بوصفها عوامل نخوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة»²⁰، لتنتقل إلى مفهوم آخر تناوله المفكر في معظم كتبه، خاصة كتاب "مشكلة الثقافة"، وهو مفهوم الثقافة، الذي أشارت فيه الباحثة أن "مالك بن نبي" انطلق من التعريف اللغوي له، من خلال المعاجم اللغوية العربية القديمة، مما يؤكد ارتباط المفكر بالتراث كمرجعية ضرورية في دراساته، ثم يعرج على مفهومها في المصادر الغربية، وأيضا نشأتها وتطورها عبر العصور، ليخلص أن تطورها ارتبط بعلم الوقائع الاجتماعية الذي بدأ مع "أوغست كونت"، وأثناء قراءتها لمجهودات المفكر في مجال الثقافة، تخرج الناقدة بنتيجة أن بعض موضوعات الثقافة التي تطرق إليها

المفكر هي موضوعات الدراسات الثقافية التي اشتهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، كالتوسع الاستعماري، وثقافات المجتمعات البدائية²¹، وهي هنا تحاول إعطاء الأسبقية له عربيا في ميدان النقد الثقافي، لتشكيل مجهودات "جميلة بكوش" في النقد الثقافي إضافة لا بأس بها لهذا الميدان، وتمثل تجربتها الجادة في النقد النسوي الجزائري فرصة لباقي الباحثات وحتى الباحثين للتوسع في هذا المجال الحديث نسبيا، والذي يحتاج إلى دراسات أخرى لإثرائه والارتقاء به.

خاتمة:

- في ختام رحلتنا البحثية وصلنا إلى مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط التالية:
- يعد النقد النسوي من أبرز الأشكال النقدية التي ظهرت مع ما بعد الحداثة، يهتم بنقد الأعمال الأدبية التي تبدها النساء، أو التي يُبدعها الرجال ويكون موضوعها هو المرأة، وهو في عمومها دفاع عن مكانة المرأة عبر الوصف والتحليل والتقويم والتوجيه.
 - شكل القرن التاسع عشر إرهابا أولا للنقد النسوي، من خلال مرافقته للحركة الرومانسية، لينتقل بعد ذلك إلى نقد حقوقي وإصلاحي وثوراني مع العقود الأولى من القرن العشرين، ثم تبلور مفاهيمه وتتضح مساعيه في الستينات من القرن الماضي إلى سنوات الألفية الثالثة.
 - تأخر ظهور النقد النسوي في ساحة النقد الجزائرية مقارنة بنظيرتها الغربية وحتى العربية، ويعود هذا إلى تأخر الإنتاج الأدبي النسوي نفسه، المتأثر بعوامل تاريخية كالاستعمار الفرنسي، وأسباب اجتماعية متمثلة في التهميش الذي تعرض له صوت المرأة.
 - تأتي غالبية البحوث المتعلقة بالنقد النسوي الجزائري على شكل بحوث أكاديمية، يكتبها أساتذة في الجامعة أو طلبة الدكتوراه.

- تعد "جميلة بكوش" إحدى الأسماء النقدية الجزائرية النشيطة في مجال النقد النسوي، من خلال بحوث ودراسات خصت المرأة بالتحليل والتفسير، عبر آليات النقد الثقافي، وقد تنوعت هذه الدراسات بين الكتب والمقالات.

- مثل الجسد التيمة الأبرز التي اشتغلت عليها الناقدة، حيث صورت معاناة المرأة مع جسدها، الذي تحول إلى مصدر حزن لها، بسبب نظرة الرجل إليه، كما اهتمت بالجسد الأنثوي في العشرية اهتماما خاصا، فتلك الفترة هي الفترة التي فقدت فيها المرأة جوهرها كإنسانة، وأصبح الجسد هنالك خاضع لإملاءات الرجل بشكل مطلق.

- تناولت الناقدة مقاومة الأدبية الجزائرية للآخر عبر قصائدها الشعرية، فالتطور الذي حدث في معمار القصيدة النسائية، من اللغة المباشرة التقريرية إلى اللغة الجمالية الشعرية، هو نوع من إثبات الذات، ونوع من المقاومة ضد الرجل.

- حاولت الناقدة أن تنسب انطلاقة النقد الثقافي عند العرب إلى المفكر الجزائري "مالك بن نبي"، الذي اشتغل على تيمات ومباحث هي بؤرة الدراسات الثقافية والنقد الثقافية، مثل علاقة المستعمر بالمستعمر.

الهوامش:

¹ جميل حدادوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، د.ب، د.ط، 2011، ص 124

² حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2009، ص 9

³ المرجع نفسه، ص 123

⁴ ينظر: المرجع السابق، ص ص 126-127

⁵ ينظر المرجع نفسه، ص ص 128-129

⁶ ينظر: مريم كرفيف: الأدب النسوي الجزائري بين النشأة والتطور، مجلة بدايات، الجزائر، مجلد5، عدد الأول جانفي 2023، ص 153

- ⁷ كريمة براح وحببية مسعودي: تلقي السرديات الثقافية في النقد المغاربي-تجربة سليمة مسعودي أمؤذجا- ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مجلد 12، عدد 4 ديسمبر 2023، ص 538
- ⁸ جميلة بكوش: معالم النقد الثقافي في الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، د.ط، 2021، ص 132
- ⁹ المصدر السابق، ص 133
- ¹⁰ المصدر نفسه، ص 134
- ¹¹ المصدر السابق، ص 135
- ¹² المصدر السابق، ص 136
- ¹³ المصدر السابق، ص 170-171
- ¹⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 175-176
- ¹⁵ ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002، ص 308-309
- ¹⁶ جميلة بكوش: نشأة النقد الثقافي عند مالك بن نبي، مجلة دراسات معاصرة، الجزائر مجلد 4، عدد 2 جوان 2020، ص 145
- ¹⁷ المصدر نفسه : ص 160
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص 158
- ¹⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص 158
- ²⁰ المصدر نفسه، ص 146
- ²¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 148-149